المحاضرة 05:
الشعر في ليبيا/ القضايا و الخصائص

يمكن اعتبار الاتجاهات الشعرية التي شهدتها ليبيا خلال عقود القرن العشرين مدارس أدبية تضّم عددا من الشعراء ذوي الانتماءات الثقافية المتنوعة، و عليه فإننا نلاحظ في البيئة اللّيبية خلال هذه الفترة ثلاث مدارس رئيسية هي:
المدرسة التقليدية ، و مدرسة الشعر الحديث المقفّى ، و مدرسة الشعر الحرّ.
أولا : المدرسة التقليدية : سارت هذه المدرسة على خطى الشعر العربي الملتزم بالأغراض الشعرية القديمة بشكل عام، و ربّما أمكننا نقسم شعر هذه المدرسة إلى شطرين :

- **أحدهما :** يسير على النهج القديم شكلا و أغراضا، و يغطي معظم الرّبع الأول من القرن العشرين ، و هو الاتجاه المحافظ .
- **و الثاني :** يحاول التجديد في الأغراض، و يطوّر اللّغة في اتجاه لغة العصر و مصطلحاته ، كما ينبّه بعض أعلامه إلى ضرورة التغيير في القوافي. وهذا الاتجاه يمكننا تسمية بالمحافظ المجدّد.

و لعلّ أفضل نموذج يمثل شعراء القسم الاوّل هو الشاعر مصطفى بن زكري الذي توفي في العقد الثاني من القرن العشرين على أن هذا الشاعر يمتاز برقة ألفاظه ، و بإداعه في فن أشبه مايكون بالموشحات. ومن ذلك قوله :

بـين آس و أقـــاحْ وصبـوح في صبـــاحْ
روّح الـروح بـراحْ و اغتنم صفو الزّمـانْ
خندريس من رحـيق قرقفـا تـدعى بريــق
في كؤوس من عقيقْ عُصـرت من أقحـوانْ

بل إنّه يحاكي أحيانا نسيج الأعلام الأندلسيين :

بأبي من زارني ملتثما وجلا من رقباء الحرس
فهو كالبدر بدا مبتسما يتوارى تحت ذيل الغلس

وبرغم وجود قلة من دواوين هذه الفترة منها : ديوان ابن زكري نفسه ، و ديوان الشيخ محمد الضاوي ، و ديوان سليمان الباروني و غيرهم. بالرّغم من كلّ ذلك فإنّ أغلب شعر هذا القسم ينسب إلى شعراء مقلّين لم يصرفوا حياتهم للشعر، و لم يتركوا ما يسمح بتسميتهم بين الشعراء.

و من سمات معظم شعراء هذا العصر أن ثقافتهم كانت محدودة غالبا و ذلك تبعا لمستوى تعليم عصرهم الذي كان يعاني نقصا في مراكز التعليم، و قلّة في المصادر العلمية إلى جانب الضعف المستشري في الجوانب الاقتصادية و تخلّف الحياة العامة في أواخر الدّولة العثمانية.

أمّا شعراء القسم الثاني، فقد كانوا أسعد حظّا من سابقيهم إذْ تدفقت ثمرات المطابع من الشرق ، و انعكس أثر ذلك على المراكز العلمية و الثقافية ومؤسسات الصحافة، و منابر التوجيه الديني و الوطني و الاجتماعي : كما انعكس تأثير ذلك على الابداع الشعري الذي أعطته حركة الاحياء بعثا جديدا. و عرفنا في هذه الفترة أبرز أعلام الشعر التقليدي مثل : أحمد بن شارف، و أحمد رفيق المهدوي، و أحمد الفقيه حسن، و أحمد قنابة.

و تغطي أشعار المدرسة التقليدية بقسميها معظم النّصف الأوّل من القرن العشرين، و لكن عناصر من أتباعها لم يختفوا حتّى أواخر القرن.

و يمتاز الشعراء في هذه المدرسة بإقامة الوزن الخليلي و لكنّهم يتفاوتون في وجود التصوير، و تخيّر الألفاظ، و يغلب على الجيل الثاني منهم التأثر بروح العصر. ويمكن ذكر أسماء إضافة إلى من سبق، مثل : الشاعر الوطني محمد ميلاد مبارك فريج جامعة الأزهر سنة (1943م)، و كذلك الشاعر الأستاذ الهادي عرفة، و الأديب بشير الجواب، و محمد الأمين الحافي و غيرهم.

ثانيا: مدرسة الشعر الحديث المقفى : وقد قطعت هذه المدرسة شوطا بعيدا في الحداثة بمفهومها الإيجابي، و كان لمدارس العصر النقدية و الشعرية في الشرق و الغرب تأثير كبير في إعطائها هذه النزعة التجديدية.

فمن الشرق كان تأثير مدرسة الديوان و أبولو واضحا في شعرائها و من الغرب كان للشعر المهجري، و العالمي المترجم أثر آخر في الأفكار و العواطف التي أذاعها الرومانسيون و غيرهم.

وقد برز من بين شعراء هذه المدرسة الشاعر و الناقد " خليفة التليسي " الذي يقول في وصف الطبيعة :

إنّي أحدّد شيئا من ملامحها و لستُ أرسمُ إلاّ بعض ما فيها

وكيف أرسمها رسما يحققها؟ و هي الطبيعة في أحلى مجاليها

وكذلك الشاعر " حسن السّوسي " الذي يقول في وصف الشاعر :

ومن لم تزحم الفكرة في أعماقه الفـــكرهْ

ومن لم تولد الخطرةُ في دنياه من خطرهْ

و من لم يُظمه بحر و تنقعْ غُلّــه قطــرهْ

و من لم يره النّاس على الأيام في حيـرهْ

كما يتلفت الطائرْ فذلك ليــس بالشـاعــرْ

و منهم الشاعر " راشد الزبير" الذي أبدع في الشعر المقفى إبداعه في الشعر الحر.

ومنهم الشارع البارع "رجب الماجري" ، و الشاعر " عبد المولى البغدادي "و غيرهم.

ومن شعراء الاجتماعيات في هذا الاتجاه نذكر " الطيب الشريف " و " عبد السلام خليل"، و " فتح الله حواص ".

ثالثا: مدرسة الشعر الحر : الشعر الحرّ ليس جديدا على البيئة الليبية و إن كان ظهوره بصورة واضحة يعود إلى الخمسينات من القرن العشرين على يد الشعراء الشباب من أمثال : " علي صدقي عبد القادر و علي الرقيعي ، و خالد زغبية" و غيرهم.

و كان لرواج مجلات الشعر الحديث، مثل مجلة الآداب ، و مجلة الشعر اثره في شيوع نماذجه الشرقية بين الشباب و التمكين لتأثيره في النفوس.

و في أواخر الستينات صدرت دواوين و برزت محاولات للتوسع في نشر الشعر الحرّ بأقلام نخبة من الشعراء منهم :

" علي الفزّاني ، و حسن صالح، و محمد السلطامي" ، كما ظهرت في السبعينات و مابعدها أسماء لها مشاركات متفاوتة في مستوى نضجها و حجم عطائها، منها أعمال : إدريس بن الطيب، و السنوسي حبيب ، و الجيلاني طريبشان، محمد الفقيه صالح، و عبد الرزّاق الماغري، و فوزية شلابي.